# قصيدة ( دعني ) لغازي القصيبي...[1]
## دراسة موضوعاتية

**الباحثة/ أريج بنت عثمان بن عبد العزيز العميريني**

**معيدة بقسم اللغة العربية – ماجستير (تخصص البلاغة والنقد)**

**قسم اللغة العربية- كلية الدراسات التطبيقية وخدمة المجتمع-**

**جامعة الملك سعود-المملكة العربية السعودية**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أحمد ربي وأشكر فضله ونعمه، وأصلي وأسلم على خير البرية، وأصدق البشرية، محمد، صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن الوطن حياة كل إنسان، فهو كالأم التي يجد في حضنها الدفء والحنان، وارتباط كل إنسان بوطنه فطرة يُفطر عليها، فالوطن لكل إنسان هو الأمن والأمان الذي لا يجده في أي مكان، أو أي بقعة من بقاع الأرض مهما شرَّق أو غرَّب، أو طاف في أنحاء العالم، ومهما بهرته أضواء الحضارات التي يحط رحاله فيها، بل تظل صورة الوطن ماثلة أمام ناظريه، وفي مخيلته تراوده في أحلامه ويقظته، في حله وترحاله.

والشاعر غازي القصيبي لا يختلف عن غيره، فوطنه هو شغله الشاغل وقضيته الأولى التي يدافع عنها، سواء كان في وطنه، أو بعيداً عنه، طالما أبعدته الظروف عن حضن أمه وحنانها الدافق.

صورة الوطن عند الشاعر غازي القصيبي ظهرت من خلال هويته الإقليمية التي تجلت في قصائده التي تغنى فيها بالمملكة العربية السعودية، كما ظهرت هويته العربية من خلال القصائد التي صوّر فيها وطنه العربي الكبير، وظهرت هويته الإسلامية في قصائده التي نافح فيها عن القدس والمسجد

---

([1]) ديوان " قراءة في وجه لندن " لغازي بن عبد الرحمن القصيبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، ص٨٥-٨٧.

الأقصى، وغيره من قضايا الأمة الإسلامية؛ لذا نرى في أعمال الشاعر القصيبي ما صور هذه الازدواجية في الشخصية التي عبر عنها قائلاً: " لقد أشار بعض الذين تناولوا أشعار "من جزائر اللؤلؤ" إلى ما يملأ الديوان من روح الحرمان والكآبة واليأس، واستغربوا ذلك في ضوء ما يعرفونه عني شخصياً من روح التفاؤل والمرح، كان السؤال يطرح على النحو التالي: هل لك شخصيتان متميزتان إحداهما مرحة متفائلة، وهي التي نراها بيننا، والثانية متشائمة كئيبة، وهي التي نقرأها في شعرك؟ وكان السؤال يطرح على النحو التالي: هل أنت إنسان مرح متفائل وبالتالي نستطيع أن نعتبر شعرك الحزين نوعاً من الخداع؟ أم أنك حزين متشائم، وبالتالي نستطيع أن نعتبر مسلكك بيننا نوعا من الخداع؟"(١).

وأبرز ذلك بأن الشاعر ينعكس على شخصيته مدى حبه لوطنه وارتباطه به، فهذه الروح المرحة تتجلى عندما يكون بين أهله وأقرانه، وتتغير عندما يشعر بالغربة النفسية والمعنوية، وما الشعر إلا مرآة تنعكس على صفحتها صورة النفس وما يدور في خباياها.

فالوطن قضية يعيشها الشاعر؛ لأن له مرتبة فكرية وشعورية متميزة بين الناس، ويطمح من كل قلبه لأن يأخذ بأيديهم إلى مناخات فكرية وشعورية تتواءم مع مكوناته الثقافية والفكرية والحضارية(٢).

وهذا الذي قلته ليس مستغرباً على شاعر مثل غازي القصيبي، وهو "شخصية مميزة، جمعت وبشكل شديد التماسك بين الفكر المستنير والإبداع في عطاءاته الشعرية والأدبية، كلما قرأت له شعراً تشعر أنك وجدت آلامك وآمالك"(٣).

وكما قلت: الوطن عند الشاعر القصيبي ممتد الآفاق، وهذا ما نلمسه عندما سخر قلمه وشعره في الدفاع عن قضايا العروبة، فنجده يدافع عن

(١) سيرة شعرية، غازي القصيبي، ص٤٦، دار تهامة، ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر: شاعر الحب والوطن، عبد العزيز النعماني، ص١٧، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٧٠م.

(٣) الاستثناء غازي القصيبي، شهادات ودراسات، إصدارات الجزيرة الثقافية، ص٥٧٣، والكلام لكلوفيس مقصود.

اليمن، والكويت، ولبنان، وعن قضية المسلمين الأولى فلسطين، والمسجد الأقصى، فشاعرٌ هكذا يكون شعوره نحو وطنه الكبير، فما بالك بوطنه الأم؟

الشاعر غازي القصيبي له مادة شعرية وافرة أسهمت إلى حد كبير في إثارة حماستي لاختياره، لأظهر صورة الوطن ومكانته في شعره ، لقناعتي أن هذه المساهمة لها أثرها الفاعل في نشر شعر وطني لشاعر تجده يسير باتجاه الأحداث يواكبها ويرصدها ويعيشها... وعلى الجملة فقد كان صوتاً مدوياً فقدته الأمة، ولكنها تذكره بما خلفه من شعر أسهم به [١].

ومهما قيل عنه، سواء كان الكلام له أو عليه، اتفق الناس عليه أو اختلفوا، فإن رحيله شكل فراغاً لدى الجميع، وأصبح جزءاً مهماً من تاريخ الخليج، ورائد شعره المعاصر الذي لايشق له غبار [٢]، وسيظل غازي القصيبي مثار إعجاب وحيرة وتفاؤل، بالنظر إلى نجاحاته المتعددة في مجالات الإبداع والفكروالسياسة والإدارة [٣].

وشعر الوطن عند غازي القصيبي ماهو إلا تأكيد على أن "حب الوطن غريزة إنسانية، تسري في النفس بوعي منها أو دون وعي، إذ يجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى حب وطنه"[٤]، والدفاع عنه، سواء كان بالنفس أو بالمال، أو باللسان.

وهذا كان حال شعرائنا الذين جعلوا قصائدهم تفتخر بهذا الوطن، كيف لا وهو قبلة المسلمين، وموطن المقدسات الإسلامية، ومنه انبثق نور الحق، وسار على ترابه رسول الله، صلى الله عليه وسلم [٥]. وكثيراً ما تغنى الشعراء بالوطن، لكن هناك شعراء وضعوا بصمة لهم لا تنسى، منهم الشاعر غازي القصيبي، إنه علم من أعلام الشعر الوطني السعودي، الذي ذاع صيته وشعره عند الخاصة والعامة في العالم العربي والإسلامي.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) د. غازي القصيبي، د. مكي محمد سرحان، بيروت، ١٩٩٨، ص ٨١.

(٣) الاستثناء غازي القصيبي شهادات ودراسات، إصدارات الجزيرة الثقافية، ط١، ٢٠٠٩ م، ص١٢.

(٤) الشعر في منطقة الرياض، رسالة علمية، خالد الحافي، ص٧٦.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٨٦.

الشعر العربي شعر مكاني في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، والإنسان الذي أبدعه، لذا كان لزاماً على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه، بنظرة لا تحكمها التابعية، فتحصر همّ المكان في بعض المظاهر الثانوية، بل التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك. ما دامت الغنائية في الشعر العربي إنما تتأسس على اهتمام فردي في المقام الأول، ثم تنفتح لعديد من العلاقات الأخرى(١).

وارتباط الإنسان بالمكان (الوطن) قديم قدم التاريخ، منذ عرف إنسان الكهوف معنى المسكن بعد أن كان يعيش على الأشجار شأنه شأن بقية الحيوانات التي كان يقاسمها المكان (الوطن)، والثمار (الثروة). وبعد نضج الإنسان وتقدمه حضارياً وفكرياً واجتماعياً تطور مفهوم الوطن لديه، وقد أخذ الاهتمام بالمكان يكتسب طابعه العلمي، حين غدا امتداداً للجسد عند المفكرين الاجتماعيين و النفسانيين على حد سواء.

وقد يظن ظانٌّ أن الوطن هو الجغرافيا فقط، والصحيح أن الوطن ليس ذلك المعطى الخارجي المحايد، الذي نعبره دون أن نأبه به، وإنما الوطن "حياة"، لا يحده الطول والعرض فقط، والذين يدرسون الشخصية في معزل عن المكان والزمان، إنما يسلبونها شطراً ذا خطورة معتبرة في تحديد سماتها، وتشخيص سلوكها، وتحديد أهدافها ومقاصدها(٢).

إن الوطن الذي تعلق به الشاعر الدكتور غازي القصيبي وطن من نوع آخر، وبنكهة سماوية خالصة. إنه بلد الحرمين الشريفين، ومهبط الوحي الأمين، وبلد درج على ترابها النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم، وصحابته، وخلفاؤه، وآل بيته الطيبون الطاهرون، ومِن قبلهم احتضنت جزيرةُ العرب شعراءَ العربية ورواتها وعلماءها، فما من موضع في أرضها إلا ارتبط باسم شاعر أو صحابي أو عالم، ولهذا فإن الحديث عن الوطن حديث ذو شجون،

(١) انظر : فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية)، ص ٨.

(٢)انظر : المرجع السابق، ص ١٨.

تمتزج فيه المعلومة الجغرافية بالمشاعر الوطنية، مضمخاً بعبق التاريخ ووحي السماء.

الناظر في الدووين التي أصدرها الشاعر غازي القصيبي سيلحظ بينها قاسماً مشتركاً، وخيطاً رفيعاً ينظمها كلها، وهي حب الوطن، حيث لا تخطئ عينه مقام الوطن في قلبه وعقله وشعوره ولاشعوره أيضاً، فالوطن صورة تسكن قلب الشاعر في كل أحداث الوطن وظروفه. ومما غرّد به الشاعر في حب الوطن قصيدة "دعني" من ديوان "قراءة في وجه لندن" التي سنعرض لها من خلال المنهج الموضوعاتي .

وقبل استعراض قصيدة غازي القصيبي " دعني " يجب التنويه بالمنهج الذي نسير عليه في شرح هذه القصيدة وهو المنهج الموضوعاتي كما قلتُ سابقا ، لكن ماهو المنهج الموضوعاتي ؟ .

المنهج الموضوعاتي هو الذي يحلل المادة الشعرية إلى عدة عناصر تتناول قدرة الشاعر في القصيدة، فالمنهج الموضوعاتي هو الذي ينطلق من الذات المبدعة، معتمدة في التحليل على التأويل المرتبط بنفسية المبدع، وارتباطها بعملية الإدراك والشعور التي تؤثر في إخراج النص [١]، وهو منهج يهدف إلى "القبض على المكونات الدلالية الأساسية للنص، وذلك بإحصاء الوحدات المعجمية وتصنيفها حسب الدلالة التي تحيل عليها" [٢].

أما (الموضوعاتية) أو (الثيمية) فتدل على (الموضوعات) الكامنة في الأثر الأدبي، و(الثيمة) (THEME) هي الجذر لهذه الموضوعات، وهذا الجذر يتصف بصفات محددة هي: القرابة السرية في العلاقات الخفية التي تنسجها عناصر (الموضوع)، والثبات الذي يعني أن الموضوع هو النقطة التي يتشكل

(١) انظر: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر،حميد الحميداني، منشورات دار فال، المغرب، ١٩٩٠، وهاجس الحرية في الشعر المعاصر محمد مفتح الفيتوري أنموذجاً "دراسة موضوعاتية"، علي زغينة، الجزائر، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، والنقد الموضوعاتي وقراءة النص، شيتر رحيمة، جامعة محمد خيضر بسكرة.

(٢) عزف على وتر النص الشعري، د. عمر محمد الطالب، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص ١٨٣.

حولها العالم الأدبي، والدينامية الداخلية في العلاقات الجدلية بين عناصر الموضوع وغيره من الموضوعات، في النص الأدبي(١).

والموضوعاتية تذهب إلى أن "مفهوم (الموضوعة)، أو (THEME) أو الغرض هو مفهوم عام يشمل المادة اللغوية للعمل الأدبي الكلّي الذي يمكن أن يكون له موضوع أو غرض معين، وفي الوقت نفسه، فإن كلّ جزء من أجزائه يحتوي بدوره على موضوعه أو غرضه الخاص به" (٢).

وبعد أن استبان المنهج الموضوعاتي المتبع يمكن الآن استعراض قصيدة " دعني" التي تمثل مدى حب الشاعر "غازي القصيبي" لوطنه ، وكيف استطاع أن يعبر عن هذا الحب في منظومة منسجمة من الأبيات الشعرية التي يبث فيها حبه النابع عن فطرة سليمة نقية . يقول فيه :

أحبك حتى التوحّد... ياوطني
مولدي فيك عرسي
وموتي عرسي ...
ودمعي ، إذا ما رأيتك ، عرسي
وأنت رجائي .. ويأسي
وبدري .. أنت .. وشمسي

ومن أجل الوقوف على معالم الجمال في هذا النص من خلال مقاربة موضوعاتية له تبدو في النص أسس ومعايير يقوم عليها، وهي:

- التشخيص: حيث جعل من الوطن إنساناً له عينان وجسم وحركة، ويخاطبه خطاب إنسان مدرك كامل.
- التوحُّد: وتخرج لمعنيان أحدهما لغوي والآخر مرضي .
- الوجد والعشق: حيث حفل قاموس الشاعر بكلمات الوجد والحب والهُيام بالوطن.

---

(١) المسرح العربي المعاصر قضايا ورؤى وتجارب، د. عبد الله أبو هيف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ــ ٢٠٠٢، ص ١٦٠.

(٢) شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا والتشكيل)، د. مختار حبار، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٧٣.

وقد احتوى النص على معاجم كثيرة وهي معجم الموت ومعجم الطبيعة ومعجم الحزن ومعجم الأمل .

الوسائل والأدوات الشعرية في يد الشاعر: الألوان، الرسم، تراسل الحواس، التشخيص، التجريد، التجسيم، وغيرها من أدوات في نصوص القصيبي.

الشاعر"غازي القصيبي" يحلق بنا في سماء الخيال الشعري من خلال هذه القصيدة التي يعبر فيها عن حبه لوطنه ، هذا الحب الذي أوصله إلى حالة "التوحد" فأصبح ممتزجا بروحه ودمه مع وطنه ، هذا الحب الذي جعل مولده وموته في هذا الوطن كالعرس ، ودمعه الذي يهطل من عينيه عندما يرى وطنه فهو عرس أيضا ، ونلمح مدى هذا الحب المتدفق والمستمر في تعبيره بالفعل المضارع " أُحب " المضاف إلى كاف الخطاب .

إنها مشاعر صادقة نابعة من قلب صادق ، مفعم بالحب الخالص من هذا الشاعر لوطنه ، وكيف استطاع أن ينقل إلينا هذه المشاعر ويجعلنا نتفاعل معه ، ونشاركه هذا الحب ، وهذا التفاعل إنما هو ناجم من التجربة الصادقة للشاعر .

كذلك جعل الشاعر وطنه هو رجاؤه ويأسه ، يظهر ذلك من خلال التضاد بين "اليأس والرجاء" وهذا للتأكيد على الحب أيضا .

فالحب يسيطر على الشاعر في كل وقت وحين ، فهو "بدره" في الليل ، و"شمسه" في النهار ، فحبه لوطنه هو شغله الشاغل الذي لا ينفك عنه أبدا ، ونرى جمال الصورة التي يبرزها لنا من خلال اختياره اللفظة المعبرة ، فنراه يقول:"بدري" ولم يقل :"قمري" لأن البدر حالة القمر عند اكتماله ، ويكون في أبهى صورة ، وأسطع نوراً .

ألفاظ الشاعر " وطني، مولدي ، عرسي ، موتي ، رجائي ، يأسي ، بدري ، شمسي " هي ألفاظ تظهر حالة التوحد التي أشار إليها في بداية القصيدة ، ومدى خصوصية هذا الشعور الذي تفرد فيه الشاعر دون غيره من بني البشر ،ففكرة التوحد لدى الشاعر تحمل معنيان الأول:معنى لغوي حيث

تذوب ذات الشاعر في ذات الوطن، ويغدو جزءاً منه، والثاني : المعنى المرضي للتوحُّد: وهو الذي يصيب الإنسان بالحزن والمرض، فكأن حب الوطن أصبح عشقاً يكابده الشاعر ويسبب له الأسقام والأوجاع.

نجد من سمات المنهج الموضوعاتي العودية كما يسميها عبد الكريم حسن، حيث يقول: "وقبل كل شيء فإنَّ الموضوع يتصف ب "العوديّة"، وهذا يعني أنه يتكرر على امتداد العمل الأدبي"(١). تكررت لفظة "العرس" في بداية هذا المقطع تحقيقاً لصفة من صفات هذا المنهج الذي يتّصف بالعودية كما سبق وأشرنا، حيث تكتمل وتمتزج معاجم القصيدة في عالمها التصويري: الموت والعرس والطبيعة والأمل والحزن .

فنجد التكرار من البداية من أول لفظة دعني ثم وسط القصيدة أعاد تكرارها ثم ختم القصيدة بهادعني .

وما هذا التكرار إلا دليل حب صادق أراد أن يؤكد على هذا الحب الذي لا تشوبه شائبة ، حب فطري ، عاش ومات عليه .

والمقطع الثاني في قصيدته يظهر الشاعر مظاهر الطبيعة في وطنه ، وكيف وظف هذه المظاهر لخدمة هدفه وغايته فهاهو يقول :

نخيلك يغسل بالطل رأسي
ورملك نُقلي ( ٢).. وكأسي
أحبك حتى الثّمالة .. أولد فيك ..
وأُدفن فيك ..
سماؤك مهدي ..
وبحرك رَمْسي (٣)..

(١)الموضوعية البنيوية، عبد الكريم حسن، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص٣٢.

(٢) النُقل بالضم : ما (يتنقل) به على الشراب ، قال الأزهري :قال ثعلب : لا يقال إلا بفتح النون ، والنُقلة : الاسم من (الانتقال) من موضع إلى موضع .
مختار الصحاح ، للرازي ، طبعة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م ، ص٣٦٢.

(٣) (رمَسَ) الميت : دفنه ، و(الرّمسُ) بوزن الفلس : تراب القبر . المرجع السابق : ص١٤٩.

وأنت قصيدة شعري ..

مساؤك حبري ..

وفجرك طرْسي ([1])..

الشاعر هنا يرسم لوحة فنية لوطنه ، عناصر هذه اللوحة تمثل معجم الطبيعة وهو : النخيل ، والرمال ، والسماء ، والبحر ، والمساء ، والفجر ، فالنخيل التي تتساقط عليه قطرات الطل ، ويحتفظ بها على سعفه ، تتساقط على رأس الشاعر فتغسله ، ورماله تنقله من مكان إلى آخر على شرابه ، ووصل به هذا الحب حتى الثمالة ، وهي آخر رشفة من كأسه التي يشرب بها ، كأن الشاعر يقول : أن حبه لوطنه متعمق في سويداء قلبه حتى آخر قطرة من دمه .

وطنه التي ولد فيها ، سيدفن فيها أيضا ويضمه ترابه ، والسماء كانت مهدا له ، فالشاعر جعل من سماء وطنه مهداً يحتضنه ويتربى في كفنه ، ويشعر بدفئه ، كل ذلك صوره الشاعر في صورة تشبيهية جميلة ، فالسماء كالمهد ، والبحر هو موضع قبره الذي يدفن فيه .

فالوطن بالنسبة للشاعر غازي القصيبي هو : ملهمه في شعره ، فهو قصيدته التي ينشدها ، ومساء الوطن حبره ومحبرته ، ونرى هنا مدى ملائمة الصورة ، فالمساء وظلامه يشبهان لون الحبر الأسود ، والفجر : هو صحيفته التي يسطر ويدون فيها شعره ، فالصحيفة قبل الكتابة فيها بيضاء ، تشبه ضوء الفجر في بياضه.

فنجد الشاعر يعبر بأجمل تعبير عن حبه لهذا الوطنه وأنه يفضل أن يحيى حياته كلها في هذا الوطن الحبيب وأن يموت على أرضه تفضيلا عن أي مكان آخر .

فالشاعر هنا يتحدث عن أرضه ووطنه ،فالوطن عنده كل تفاصيل الوطن ، فنجده يعبر بأجمل تعبير عن حبه لهذا الوطن وأنه يفضل أن يحيى حياته كلها في هذا الوطن الحبيب وأن يموت على أرضه تفضيلا عن أي مكان آخر.

([1]) ( الطرس) بالكسر : الصحيفة . ويقال : هي التي محيت ثم كتبت . المرجع السابق : ص٢١٨ .

ننتقل إلى المقطع الثالث الذي يصور فيه الشاعر حبه لوطنه وكيف سيطر على كل قطرة من دم جسده ، يقول :

فدعني أحبك من كل أوجاع روحي ..
وغصة ([1]) قلبي .. وحرقة نفسي ..
وكن ، حين أفزع ، حضني .. وأمني
وكن ، حين أنظر ، عيني .. وجفني
وكن ، حين أظمأ ، سحبي .. ومزني

يطلب الشاعر من وطنه أن يتركه يحبه ، ويعبر له عن هذا الحب ، فإنه يحب وطنه من كل أوجاع روحه ، وغصة قلبه ، وحرقة نفسه ، و أن يكون هذا الوطن حضنه الذي يأويه ويحميه حين يفزع إليه ، هذا الحضن الذي يجد فيه الأمن والأمان ، وأيضا عندما ينظر الشاعر يكون الوطن له عينه التي يبصر بها ، وجفنه الذي يحمي هذه العين ، وعند ظمئه يكون هو السحاب والمزن الذي يسقيه ويروي ظمأه .

أجد هنا امتداد لحالة التوحد التي أعلنها الشاعر في بداية قصيدته ، فالعاطفة المسيطرة على الشاعر لم تتغير ، بل هي في اتجاه واحد من بداية القصيدة وحتى نهايتها ، فهو يحب وطنه بكل معاني الحب ، حب لا يفارق ناظريه ، وقد سيطر هذا الحب على كل حركات الشاعر وسكناته ، وفي ليله ونهاره ، وفي ظمئه وارتوائه ، ولا يخفى علينا تكرار فعل الأمر في كل شطر من أشطر القصيدة للتأكيد على الفكرة التي يريد أن يصورها الشاعر ، وينقلها إلينا ، وهي : وطني أنا ، وأنا وطني ، كلانا كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تنفصل ،هذه الوحدة التي وصلت إلى حد الانصهار ، واللُحمة الوثيقة ، حقاً ، إنها الوطنية الصادقة ، التي تتمثل في إظهار الحب الصادق ، والانتماء الأصيل ، فالإنسان يعيش في الوطن ، والوطن يعيش فيه .

([1]) ( الغصّة ) : الشّجى والجمع ( غُصص) ، المرجع السابق : ص٢٦٠.

يواصل الشاعر العزف على أوتار هذا الحب ، فيؤكد ، ويزيد من هذا التأكيد في هذا المقطع الجميل ، الذي يحمل صور متكررة للتأكيد على هذا الحب . يقول :

كأنك أنت .. كأني !
كأني إذا ما ضممتك .. أهصر (١) يومي وأمسي
كأني إذا ما لثمتك (٢) ..
ألثم راحة أمي .. وجبهة إبني (٣)
وأحضن جيلاً يجيء إذا غبت ..
يطرب حين يردد جرسي
فدعني أحبك من كل حزني
ودعني .. دعني .. دعني .. دعني

دفعة جديدة من الصور المتتابعة التي يطرحها الشاعر ، وذلك ليؤكد لنا بها مدى حبه لوطنه، فوطنه كأنه هو ، وهو كأنه وطنه ، فهما متحدان ممتزجان روحا ودما ، وعندما يضم وطنه يرجع يومه الذي يعيشه و أمسه الذي انقضى ، وعندما يقبل هذا الوطن ، كأنما يقبل كف أمه ، حباً وتقديراً واحتراماً ، وجبهة ابنه تدللاً وتحبباً ، فالصورة هنا واضحة ، فتقبيله لوطنه ، إنما هو تقبيل ليد أمه التي يقدرها ويعترف لها بفضلها عليه ، وإظهاراً لمكانتها في قلبه ، هذه المكانة والمنزلة لا يغيرها مغير ، ولا يحولها متحول ،فشبه الوطن بأعز وأغلى شخص لديه وهي أمه ،فالوطن أمه فهنا صورة تشخيصية .

انتقى الشاعر ألفاظه المعبرة عن هذا الحب بدقة ، فالحضن هو موضع الدفء ، وهو الحالة المعبرة عن القرب والحب عند اللقاء بعد الغياب ، فهو يحضن هذا الجيل من أبناء وطنه ليظهر لهم هذا الحب ،

---

(١) (هَصَرَ) الغصن ، وبالغصن : أخذ برأيه فأماله إليه . السابق ، ص٣٧٢.

(٢) (اللثم ) : التقبيل ، من باب فَهم ،و( لَثَمَ) بالفتح : لغة نقلها ابن كيسان عن المبرّد . السابق ، ص٣٢٠.

(٣) أثبت الهمزة في كلمة " إبنه" لضرورة الوزن ، والأصح أن تكتب بدون الهمزة ، لأنها من الأسماء العشرة التي همزتها همزة وصل .

ويعبر لهم عن هذا القرب،هذا الجيل الذي يتفاعل معه في حبه ، فهو يردد جرسه ، ويطرب لهذا الجرس الذي يردده .

وفي النهاية يطلب الشاعر من الوطن أن يدعه ليحبه في كل حالاته حزن ، وفرح وسعادة ، مكررا وملحاً في هذا الطلب بتكرار الفعل "دعني" .

فالموضوع الذي تناولته القصيدة هو : حب الوطن ، أجد أن كلمة الحب مضافة إلى كاف الخطاب تكررت في القصيدة أربع مرات على مسافات متباعدة في القصيدة ، بما يوحي بأنها ستكون مسرح العلاقة بين الشاعر و وطنه ، بينما نجد الألفاظ التي تعبر عن هذا الحب مثل : حضني ، أمني ، عيني ، جفني ، سحبي ، مزني ، لثمتك ، ألثم ، أحضن ، كل هذه الألفاظ إنما هي تعبيرات عن هذا الحب المسيطر على مكنونات قلبه ، كذلك نجد العناصر المرتبطة بهذا الوطن والمتمثلة في : نخيلك ، رملك ، سماؤك ، بحرك ، مساؤك ، فجرك ، هي عناصر متشابكة للتعبير عن حب هذا الوطن ، فالنخيل يغسل بالطل المتساقط رأس الشاعر ، والرمل ينتقل به الشاعر من مكان إلى مكان في ربوع هذا الوطن ، وسماء الوطن مهده الذي يحتضنه ، وبحره قبره الذي يضمه بعد وفاته ، ومساؤه محبرته ، التي يخط بها أشعاره ، وفجره طرسه و أوراقه التي يسطر فيها أشعاره ، وأجد مدى جمال اختيار الشاعر مفرداته المعبرة عن الألوان والخطوط ، فالمساء محبرة سوداء ، والفجر صحيفة بيضاء ، فالتشابك بين المفردات اللغوية التي تنتمي إلى جذر لغوي واحد وهو الحب في :"حضني ، أمني ، عيني ، جفني ، سحبي ، مزني ، لثمتك ، ألثم ، أحضن "، أو مرادفات هذا الجذر ومقارباته اللغوية في : "نخيلك ، رملك ، سماؤك ، بحرك ، مساؤك ، فجرك "، أنتج الشاعر صوراً معبرة عن أحاسيسه ، باعتبار الموضوع هو جذع الشجرة ، والمفردات المعبرة هي أغصانها ، وقد يتولد من هذه الأغصان فروع أصغر ، بحيث يكون الترابط بين الجذع والفروع يصل بنا إلى شبكة العلاقات

الموضوعية التي تعبر عن بنية الموضوعات في مرحلة شعرية معينة .

كل المعاجم التي تم حصرها متداخلة فيما بينها ومتشابكة المعاني من خلال ارتباطها بالموضوع، فمعجم الموت مثلاً نتج عنه السعادة بالتضحية، ومعجم الحب نتيجة الشوق والهيام، ولا يخفى على القارئ الناقد المحلّل ما أنتجه معجم المترادفات وما يضفيه على المعنى من تأكيد للفكرة وإبراز للهدف. حتى داخل المعاجم نفسها تجد ترابطاً شبكياً بين مكونات المعجم .

كذلك نجد أن الشاعر في كل مقطع من مقاطع القصيدة يكرر فكرة الموت فداء للوطن ومحبة للوطن ، أراد الشاعر من هذا التكرر أن يثبت إن كانت حياة الوطن بموتنا فأهلا بالموت ، ونجد ذلك في ألفاظه ( موتي ، أدفن ، رمسي ، إذا غبت ..) في كل مقطع من القصيدة كان يكرر هذه الفكرة ، ففكرة الموت هنا لا توجد فيها مأساة فالموت من أجل الوطن هو الحياة ، هذا المعنى خرجا به والشاعر لم يقل أنا فداء للوطن وهذه من عبقرية التصوير لدى الشاعر .

فموضوع الشاعر في قصيدته ، هو حب الوطن ، وهو شيء معنوي يظهره الشاعر من خلال تعبيراته التي عبر بها ، وألفاظه التي حوتها هذه التعبيرات ، والحب هنا واضح من طرف واحد ،وهو الشاعر ،وإن كان المحبوب لا يبادله هذا الحب الذي يظهره في شعره ، لذلك فشاعرنا ظامئ ويروي ظمأه بهذا الحب ،فالشاعر استطاع أن يوظف مفردات اللغة ومرادفاتها ومضاداتها توظيفا مناسبا في خدمة موضوعه .

في النهاية تم استعراض حب الوطن لدى الشاعر غازي القصيبي من خلال قصيدة واحدة من قصائده ألا وهي قصيدة " دعني " ، حيث رأينا الشاعر عاشقا لوطنه حد الجنون ، وعندما يقف أمام قطعة من وطنه يقف بإعجاب وذهول كما وقف ذلك النحّات (بيجماليون)[1] أمام تمثال (بياتريس) الذي صنعه بيديه.

(١) بجماليون شخصية وردت في أسطورة يونانية قديمة، وصاغها توفيق الحكيم في مسرحيته (بجماليون)، وتتلخص في أنه كان هناك مَثّال (نحّات) صنع تمثالاً لفتاة رائعة الجمال (بياتريس)، فأعجب بهذا=

والمتتبع للقصائد غازي القصيبي يجد هناك الكثير والكثير من القصائد التي تحدثت عن الوطن ولكن ليس حديثا صريحا مباشرا عنه ، فالوطن لديه يتخذ صورا شتى ، فقد يحدثك عن امرأة تَفتِن الشاعر وتأخذ بمجامع قلبه، وتسترسل معه في قراءة الأوصاف التي يخلعها على هذه المرأة الفاتنة، لتكتشف فيما بعد أنه يحدثك عن إحدى مدن وطنه الغالية على قلبه. وقد يحدثك عن الوطن من خلال الهوية العروبية أو الإسلامية التي يفتخر بها، وقد يحدثك عن الوطن من خلال الحديث عن جغرافيته ومواضع ومُدُنه وقراه، وربما عاج بك الشاعر إلى مرابع الصبا ومدارج الطفولة ليصور لك جغرافية الوطن الذي عاشه وعاش له، وظل يتنقل داخله في مراحل حياته اللاحقة، في حله وترحاله.

ومن ثمّ فلا غرو أن تتسع دائرة الوطن، فلا تنحصر في مدلولها القُطري المتعارف عليه، فهي إذ تشمل الوطن الصغير، وتعكس طبيعته الجميلة، وما تحتويه من ركائز أساسية في بنائه، مثل الصحراء، والبحر، والنخلة، وغيرها من مظاهر الطبيعة، وما تركه في ذلك الوطن من أمسيات ما تزال عالقة في ذهن الشاعر، تتعدى ذلك فتشمل الوطن الكبير الذي ينتمي إليه الشاعر، ويتمنى أن يراه وطناً واحداً دون حدود يقوم على الحب والإخاء والترابط والمودة، وتتسع كذلك لتحتوي كل ما ألمّ بالأمة العربية والإسلامية من مصائب ونكبات ونكسات، وما شعّ فيها من تيارات فكرية وقومية، فيتفاعل الشاعر معها، ويمزجها بأحاسيسه ووجدانه وحرمانه، فتنعكس مظاهر ذلك الوطن الصغير أو الكبير في شعره، سواء كانت مظاهر إيجابية أو سلبية [1].

---

=التمثال، ودعا الآلهة أن تحول ذلك التمثال إلى حقيقة، فاستجابت له الآلهة لما رأت من إخلاصه وإلحاحه في الدعاء، وتزوج التمثال بعد أن صار فتاة جميلة، ولكن هذه الفتاة أحبت شاباً يدعى (نرسيس)، فاكتشف (بجماليون) خداعها وخيانتها، وبدأت تصغر في عينه حين رآها تمارس الحياة اليومية وتكنس وتطبخ... فانحدرت من قداستها التي كانت تبدو في عينه يوم كانت تمثالاً، فدعا الآلهة أن تعيدها تمثالاً كما كانت، فاستجابت له الآلهة، وعادت الفتاة الجميلة تمثالاً، فوقف متأملاً تمثاله، ثم حمل المكنسة التي كانت تكنس بها، ووضعها في يدها الحجرية الجامدة، ثم انهال بتلك المكنسة على التمثال حتى حطمه.أنظر: بجماليون، توفيق الحكيم، مكتبة مصر بالفجالة، د. ت. بجماليون، توفيق الحكيم، مكتبة مصر بالفجالة، د. ت.

(١) صورة المرأة في شعر غازي القصيبي، أحمد اللهيب، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠٠٣، ص ٩٣.

في شعر القصيبي تتفاوت ملامح الوطن من حين لآخر، فهو عندما يخاطب وطنه يبرز ذلك الوطن في حلة قشيبة زاهية الألوان، يجسدها من خلال صورة المرأة، فيبث هذا الوطن شوقه وحبه، كاشفاً المفاتن الحسِّيَّة والمعنوية، فلا تحسب إلا أن الشاعر يتحدث عن امرأة حقيقية. وقد اعترف هو شخصياً بذلك إذ قال: "ولعل هذا هو المكان المناسب لأؤكد صحة الملاحظة التي أبداها بعض الذين تناولوا شعري بالدراسة، وهي أن المرأة في قصائدي ليست بالضرورة إنسانة حقيقية من لحم ودم، وقد تكون رمزاً من الرموز. هذه الحقيقة تسري على دواويني كلها"(١).

وفعلا هذا مالمسنه في قصيدة " دعني" التي قمنا بتحليلها عندما رمز للوطن بأنه أمه ، وهذا من جمال التصوير لدى الشاعر غازي القصيبي ، لاسيما إذا عرفنا أن غازي القصيبي "ظاهرة متداخلة ومتشابكة، وعلينا أن نعرف كيف نفككها ونقاربها ونتعامل معها، ولأن هذه الظاهرة نسيج حي فليس من السهل أن نردها إلى عناصرها الأولية"(٢).

(١) سيرة شعرية ص ٤٥.

(٢) الاستثناء غازي القصيبي شهادات ودراسات، ص١٢، والكلام للأستاذ الدكتور محمد جابر الأنصاري.

المراجـــع:


- الموضوعية البنيوية، عبد الكـريم حـسن، ط١، ١٤٠٣هـــ- ١٩٨٣م، المؤسـسة الجامعيـة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- المسرح العربي المعاصـر قـضايا ورؤى وتجـارب، د. عبـد الله أبـو هيـف، منـشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ــ ٢٠٠٢.
- الشعر في منطقة الرياض، رسالة علمية، خالد الحافي.
- الاستثناء غازي القصيبي شهادات ودراسات،إصدارات الجزيرة الثقافية،ط١، ٢٠٠٩م .
- بجماليون، توفيق الحكيم، مكتبة مصر بالفجالـة، د. ت. بجمـاليون، توفيـق الحكـيم، مكتبـة مصر بالفجالة، د. ت.
- د. غازي القصيبي، د. مكي محمد سرحان، بيروت، ١٩٩٨.
- ديـوان " قراءة في وجه لنـدن " لغـازي بـن عبـد الـرحمن القـصيبي ، المؤسـسة الـعـربـية للدراسات والـنـشـر ، بـيـروت ، لبـنـان ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .
- سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الروايـة والـشعر،حميد الحميـداني، منـشورات دار فال، المغرب، ١٩٩٠، وهاجس الحرية في الـشعر المعاصـر محمـد مفـتح الفيتـوري أنموذجـاً "دراسـة موضـوعاتية"، علـي زغينـة، الجزائـر، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، والنقـد الموضوعاتي وقراءة النص، شيتر رحيمة، جامعة محمد خيضر بسكرة.
- سيرة شعرية، غازي القصيبي، دار تهامة، ط ٣ ،١٤٢٤هـ.
- شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيـا والتـشكيل)، د. مختـار حبـار، مـن منـشورات اتحـاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٧٣.
- شاعر الحب والوطن، عبد العزيز النعمان، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٧٠م.
- صورة المرأة في شعر غازي القـصيبي، أحمـد اللهيـب، دار الطليعـة الجديـدة، دمـشق، ط١، ٢٠٠٣.
- عزف على وتر الـنص الـشعري، د. عمـر محمـد الطالـب، منـشورات اتحـاد الكتّـاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.
- فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جماليـة، د. حبيـب مونـسي، منـشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق .
- مختار الصحاح، للرازي، طبعة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤ه - ٢٠٠٤م.